

غشاء العميان

(نصوص مسرحية)

الشاعرة المسرحية

رشا الحسيني

تدقيق وإخراج

منتدى الهاشمي الثقافي

بسم الله الرحمن الرحيم..

**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ
قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا
فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى
الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ" - (٤٦) سورة
الحج**

**هؤلاء الذين يعيشون داخل الشرقة التي
وضعوا أنفسهم فيها، أو تم الزج بهم
في ذاك النسيج الباهت الشفاف، الذي
يعكس لهم الضوء من الخارج، لكنه
يعجز أن يخرق الأنسجة التي أحكمت
قبضتها عليهم، هؤلاء أن لهم أن
يخرجوا ليدركوا أن العالم قد نما وكبر**

**وتغير، وهم داخل الشرقة، وقد كانوا
يحسبون الضوء وحشاً سيلتهم
أعضاءهم الهزيلة داخل الشرقة ..
الضوء هو المعرفة وشمس الحقيقة، قد
حانت اللحظة أن يتسم الجميع هواء
الحرية.**

رشا الحسيني

إهداء

أهدي هذه القطعة المسرحية إلى ..

الخيط الأخير

الذي لم تمزقه أهداب النور

من خيوط شرنقتي.

رشا

المبتدأ



يرتفع الستار عن ستارٍ آخرٍ مُعلَّقٍ عليه خمسُ
شرانقٍ من الخيوط الحريرية، بداخل كل شرنقة
حكايةٌ وشخصيةٌ، وفوق كل شرنقة مصباح،
عندما يضيء المصباح تتمزق الخيوط وتسقط
الشخصية الرئيسية من الشرنقة، وتلفُ ستارة
المسرح بما عليها من شرانق للداخل، لتبدأ
الشخصية وتبدأ الحكاية...

رشا
الحسيني

الشَّرْنَقَةُ الأولى

الدوائر البيضاء



يرتفع الستار للمرة الأولى بعد سقوط الشَّرْنَقَة الأولى،
لتخرج منها فتاة حُبْلَى، تتجول في أنحاء المسرح،
تتأوّه بصوت خفيض مِنْ وَهْنِ الحَمَلِ، تلمس بطنها في
حركة دائرية، وفي منتصف المسرح تبكي برفقة،
وتجنو على ركبتيها ..

صباح:

قالوا لي: "عَبَّي الزكايبُ

حلاوة"، صنت بعينيه

قالوا لي: "غطي الغلاوة"

حكمت العَطَا والعَطِيَّة

وقالوا: "الرجالة مكايذُ

حذاري يا بت وبنية

حاشاكي ضفايرك دا هيّه

نُفُكِّيْهَا، وتبقي لي خِيَّة"

صباح:

عيوني وقلبي يا ريتهم
ما خلعوا القلوب العتية
يا ريتني فْ سَواد الليالي
قبيحة، وغول في البرية
وما كنا ولا كانوا شافونا
فوق الحشيش في القليه
وعرفوا إني ما صنتش
غلاوة الزكايب واهيا

(يدخل الأب حاملاً كفنًا أبيضَ صغيراً ملفوفٌ فيه
طفلٌ ميتٌ، وبجواره الأمُّ باكيةً، والعمَّةُ مُتَشَقِّيةً،
فتجري صباحٌ نحو الأب وتهزُّه)

صباح: إياك تكون قتلتَه يا ابوي! قتلت روح يا ابوي؟!
قتلت روح يا ابوي؟! أومال مين اللي في بطني ده؟!
مين؟!!

(تصرخ صباح من الألم، تصرخ مراراً حتى تتنفس
الصعداء، وهي تخرج من بطنها حبيبها...)

الحبيب تقطُرُ الدماءُ مِنْ رأسه على وجهه، وهو
ملفوف بشراشف بيضاء لا يستطيع الفكّك منها، لا
يستطيع أن يُخرج يديه ليشير) ..
الحبيب:

أنا جدع ما يقدر عليا
أنا زين .. زنين .. والزنية
في بيتكم قليلة الربية
وإياك يا راجل ترازي
ده انا فوق الأذية أذية
يا ابوي .. يا اخوي .. يا اعمامي..
يا أهلي وناسي القوية
تعالوا وفكوا الأسارى
شوفوا لي جاني وجنيه
يشيل الذنوب والمصايب
ويحملها عني شوية
هاتوا لي العمامة معاكم
ألفها .. والجلابية

(الأب يمسك رأس صباح)

حبيبك ابن الأكابر
وزينة السرايا الغنية
حبيبك اللي يحبك
يغطي وسترك ده غية
وكيف والبهيمة استويتم
بعقل بلا مفهومية

صباح تنظر لحبيبها منذر: "إنت مين؟! إنت يا منذر؟!"

منذر: "أنا سيدك زينة شباب البلد".
صباح:

ربيتك يا منذر في قلبي
ولدتك وروحك أهيه
أنا يا حبيبي ندرتك
وقلبي في حبك ضحية
ده حب؟

أبوي قال: "دي عصية"
وذنب دفعت غرامته
ودمي لدمك جنية

وليه يا ابويا ما قلتش
نفكوا الزكايب شوية
نشيل في العقول العلايق
ملانه بعطف وحنية
ولسة يا ابويا فاكرني
وبعد الطوى والطوية
وجاي للمقابر تزورني
ولا تجيب معاك دلو ميه
وغللك في قلبك يا عمة
رمتني من فوق في العلية
وسطح البيت يشهد أنك
قتلتيني وشممتي فيا
وعادتك يا عمة تعادي
وكيدك كيد الحنش والرزية
وربي بعدلك حاكمني
اغفر .. سامحني أنا الزنية العصية
أنا القتيلة اللي ماتت
وهما الجناة والدنية

وأنا بين يديك يا إلهي
رفعت إليك القضية

تَمَّ المشهد

الشَّرِيقَةُ الثَّانِيَّةُ

مَلِكَةُ الْفَجْرِ



محبّات ملكة الفجر

الشخصيات:

- عَصَافِط (شيخ البلد).
- مَنَاجِل (كبيرة العَجَر).
- مَحَبَّات (العَجَرِيَّة).
- سَيِّبَال (صديقة مَحَبَّات).
- الست/ أحلام (بنت شيخ البلد).
- حَرْبُوق (الحرامي)، وجماعة الناور.
- عبد الرحيم بك (عضو مجلس النواب).
- يَزْبَك (شاعر العجر).

المكان:

في إحدى قرى الصعيد.

الزمان:

قبل ثورة يوليو بعدة أعوام.

في عصر سادت به الطبقية، ونمت في طول البلاد وعرضها حتى اختنقت بأيدي أصحابها الطبقية المجنونة التي يَظُنُّ أصحابُها بالحب لمن خَلَّت يداه من المال، ولمَ لا والحب لا يَرُدُّ سوى القلوب العاقلة؟! مَنَاجِلُ أم شيخ البلد من زوجها العمدة الكبير، الذي رفض الاعتراف بها، حتى أفصح لابنه شيخ البلد قبل موته أن مَنَاجِلَ والدته وهو حر، إذا أراد الاعتراف بها؛ ولكنه رفض هو الآخر الاعتراف بها، شيخ البلد يصر على عدم الاعتراف بأمه مَنَاجِلَ، التي دعمت عبد الرحيم بك في الانتخابات، ووقف أهلُ البلد معها ضد شروره، وتلك هي مَنَاجِلُ ملكة الغجر .. يُرفع الستار بعد سقوط الشَّرْئَقَةِ ليخرج منها (عَصَافِط) أمام منزل قديم

الطراز يشبه معابد الفراعنة، البيت مكون من طابقين
تحملهما الأعمدة الرخامية .. أمام البيت يجلس شيخ
البلد عَصَافِط على كنب بلدي ..

المشهد الأول

يتكئ عَصَافِطُ ممتدِّ الذراعين، على عكازه المصنوع
من خشب تعتليه رأس الكوبرا، بينما يكون مستمعاً
لشكوى أحد الفلاحين، ولا نعرف من الشكوى سوى
أنه ظلم الفلاح وقهره، وهو يتوعده قائلاً:

عَصَافِطُ:

مَنْ أَنْتَ؟

من أنت حتى تأتيني؟!

وتقولَ ذاكَ مطلبي؟!

وتطيلَ في ذاكَ الحوارِ

وكأنك موسى النبي؟!

أولستَ عجلاً ذا حوارٍ

ورفعتَ ذيلَكَ يا غبي

الفلاح:

الويلُ لك، ولمَنْ هلكَ

والملكُ لله الملكُ

مَنْ قالَ إِنَّكَ ذو جنابٍ

لم يعطَ فهُمَا أَوْ دَرَكُ؟!

(يهم عَصَافُط بالعكاز ليضرب الرجل؛ ولكن يفاجئه
مرورُ عربة الغجر وجماعة الناور من أمام المنزل
وهم يهللون ويغنون لأقتراب المولد .. ثم يترجل
المغني ويقف أمام المنزل ويقول) ..

المغني:

يا ابن الكرام الكرام
اسم الكريم غالي

وانت خسيس من اللئام

مهما شكيت حالي

الشكوى زاد الفقير

رب الفقير عالي

تطوف البلاد والعباد

وانا لِسًا رحالي

شوف مين يوزع سعادة

ومين ينول المعالي

بظلمك توزع جراح

واحنا قلوب الغوالي

يصرخ عَصَافِطُ مَهْدَدًا بِالْعَكَازِ حَتَّى تَخْرُجَ لَهُ سَيِّدَةُ
الْفَجْرِ/ مَنَاجِلُ.

مَنَاجِلُ:

عَصَافِطُ (تصرخ منذرة له):

لِمَ كَلَابِكَ لَعْنَدُكَ

فَدَمَّ الدِّيَابَةَ عَزِيزُ

يَجُوزُ تَكُونُ دُنْيَا غَابَةِ

وَمَا يَكْسِرُ رِقَابُنَا الْمَعِيزُ

وَذَكَرَ جَنَابِكَ بِمَاضِي

بَلَاهَا بِرُودِ الْإِنْجَلِيزِ

وَخَلَى زَمَانُكَ فِي حَالِهِ

عَزِيزُ لَا يُذِلُّ بِعَزِيزِ

عَصَافِطُ (مَرْتَبِغًا):

أَنَا يَا سَتَ مَنَاجِلُ.

أَنَا مَا قَصَدْتَ الْمَهَانَةَ

وَقَدْرَكَ عَظِيمَ الْمَكَانَةِ

يَزِينُكَ إِذَا الْعَهْدُ بَاقِي

وَيَحْفَظُ فِي قَلْبِي الْأَمَانَةَ

مَنَاجِلُ (بِكَبْرِيَاءَ وَشَمْوُخَ):

حفظنا في قلبي الوعودُ
وصنا العهود الأبية
ولو نطقت حجارة الجود
ما نفشي خبايا رزية
(الست أحلام (بنت عَصَافِط) تنظر من البلكونه وتشير
إلى مَحَبَّات، وإلى سَيِّئَال (صديقة مَحَبَّات) ليصعدا إلى
غرفتها).
أحلام:

لا سلام ولا كلام،
سمعيْنا من أزْجالك.

مَحَبَّات:

العشق ولا كاس ودائر
ولا هو شيطان رجيم
ده قلب حابر وفاير
ونار في قلوبها نعيم
وحقك يا زينة الصبايا
يا أخت القلب الحزين
خيَّالك يا حي السرايا
ينور حياتك يزين

ونيجي نغني الوصايا

لزينة وعشقت زينين

(أحلام تحتضن محبات وتقول):

خيالي وفارس قلبي

شاعر تعرفيه زين.

محبات:

مين اللي قطف الورد

على خد الحبايب يميل

واحنا نقوله يا ولد

حذاري لدمك يسيل

وشيل الأحبة في قلبك

يا ويلك إذا لم تشيل

يا حبيبتي يا محبات.

من الجاني؟! ما تخلصونا!

يزبك الشاعر العجري

يا ولد اللئيمة يا يزبك!

يا ويلي من عصافط!

أحلام:

سيبال:

أحلام:

الرحال.

سيبال:

محبات:

أحلام:

القلب لما نَدَّه
جاوب إله الكون
قال: المحبة قَدَّر
نلقاها وين ما تكون

سِيِّبَال: جدتك بتنده علينا .. هنيجي لك
تاني.

(مَنَاجِل تصيح من الأسفل منادية بصوت عالٍ على
مَحَبَّات وسِيِّبَال لينزلا، كي تنطلق القافلة إلى حيث
تستقر.

ينزل الركاب في وسط البلدة بين السوق وبيوت
الأكابر، مكان يرصد حركة البلد كلها أمام الطريق
الرئيسي الموصل للبلدان الأخرى.

حَرْبُوق الذي غلبه العشق لِمَحَبَّات يهرول نحوها
حاملاً صندوقاً للكتب التي استطاع أن يسرقها من
البيوت التي ينهبها ليلاً).

حَرْبُوق:

العلم نور!

مَحَبَّات:

تأتي إليّ بالكتب؟!
أم أنت حمالُ الحطب؟!
تأتي، تقول: العلمُ نورٌ
وأنت مشعلُ اللمب

حَرْبُوق:

أُعِيْذُهَا حَيْثُ أَنتِ
أو حتى تأكلها القِطط

مَحَبَّات:

هاتِ يا كأس العذابِ
حمار حمالِ الكُئب

(بدأت مَحَبَّات تسرد الكتب، هذا مسرحٌ، وهذا شعرٌ،
وتلك التاريخ والحضارة، هذا نضعه هنا، وذاك هناك،
والآن اكتملت المكتبة لَدَيَّ. ينصرف حَرْبُوق من أمام
خيمة مَحَبَّات ومَنَاجِل حين يرى مَنَاجِلَ تدك الأرض
دَغًا وهي تحمل عكازها الخشبي).

مَنَاجِل:

ركابنا وحطت في سيرة
صاحبها ظلومه كثيرٌ
وسره عقدته في ضفيره

أمان وسره في بير

سِيَّال:

احكي يا خالة حكاية
وهيدة وحبيبها أمير
ولما خانتها المراية
وسحرت حبيبها هجين

مَنَاجِل:

وهيدة يا زينة الصبايا
وزينة المعشوقين
يا بنت المروج والحكايا
عليه الصلاة والسلام
نبينا الرسول الأمين
وهيدة وحببت محمد
وعشقت، وقالت: آمين
ولكن في قلب الخطايا
سواد في قلوبهم مكين
سقوها سحر المراية
تشوفه في عينها هجين

وقدرني ربي بهداية
أفك الطلاسّم، تلّين
وعاشت وهيدة وحبّيبها
بركة دعا الوالدين

سَيِّئَال:

عَصَافِطْ -يا ست الحبايبُ-
يخاف من جنابك وهايبُ
يشوفك كأنك كتايبُ
عجيبه وده من العجايبُ

مَحَبَّات:

بلاها هذاك السّؤالُ
حبّيتي إنتي سَيِّئَالُ
مَنَاجِلْ وَ عَصَافِطْ سَهَامُ
وديما بيناتهم قتالُ
وسر وراهم إيش أدري
ولا أبغي ولا أشغل به بالُ

(حَرْبُوقْ يدخل متوجّهاً إلى مَنَاجِلْ ينحني ليهمس لها
بأخبار عَصَافِطْ، فَعَصَافِطْ يرشح نفسه في البرلمان

أمام عبد الرحيم بك، عبد الرحيم بك شخص ذو
شهامة وشخصية عادلة ومنصفة، الغجر ليس لهم
صوت انتخابي؛ ولكن لهم مناصرون ومحبون من كل
القرى المجاورة، وخاصة منّا جل التي فرضت
شخصيتها القوية بحكمتها وحلها للكثير من المشاكل
ومنّا جل ترى هل ستقف مع ابنها الذي تبرأ منها؟! أم
مع عبد الرحيم بك الذي يدافع عن حقوق الغجر؟!).

حَرْبُوق:

عَصَافُط مربوط وزايط

وعاقد وعلى الكرسي رابط

إيه رأيك وحكمك يا جدة؟

منّا جل:

سبحانه اللي سمى القلب

يقلب في قلب الحبيب

ليصبح قريبه غريب

ويقلب بدايته نهايته

منّا جل:

زرعت في أرض الأكابر

سقوني المزار من كعاني

ودلوقتي هاحصد واكابرُ
وأجمع حصادي بأغاني
هَمَّ بَيْنَا يَا حَرْبُوقُ نَنْزِلُ نَشُوفُ الْحَاكِيَةَ
(يَتَوَجَّهُ جَمَاعَةُ النَّاورِ وَفِي مَقْدَمَتِهِمْ حَرْبُوقُ وَمَنَاجِلُ
وَمَحَبَّاتُ وَسِيْبَالُ، لِبَيْتِ شَيْخِ الْبَلَدِ عَصَافِطُ لِيَجِدُوا
الْحَمْلَةَ الْإِنْتِخَابِيَّةَ، وَعَصَافِطُ يَخْطُبُ، وَالْكَلُّ يَهْلُلُ).

المجاميع:

عَصَافِطُ عَصَافِطُ
يا فاتح بيوتنا
يا زينة المشايخ
وعمرك تفوتنا
يا قِبْلِي يا قِبْلِي
عَصَافِطُ مَا يَجْرِي
يا مجلس يا مجلسُ
عَصَافِطُ حَقِّهِ يَجْلِسُ
يا كرسي يا كرسي

عَصَافِطُ صَوْتِهِ يَرْسِي
(مَنَاجِلُ تَشِيرُ لِحَرْبُوقَ وَجَمَاعَةِ النَّاورِ لِيَرُدُّوْا
هَتَافَاتٍ مَعَ عَبْدِ الرَّحِيمِ بِكَ).

المَجَامِيعُ (وَهُمْ يَطْرُقُونَ عَلَى الطُّبُولِ):
يَا حَقَّ وَصَوْتُهُ عَالِي
عَبْدُ الرَّحِيمِ الْغَالِي
يَا سُلْطَةَ يَا سُلْطَةَ
وَخَصِيمُكَ رَاحَ فِي وَرْطَةٍ
يَا مَنْصِبُهُ يَا مَنْصِبُهُ
الْمَجْلِسُ حَقُّهُ وَمَكْسَبُهُ
عَبْدُ الرَّحِيمِ الْأُمَّةُ
وَمَنَاجِلُ تَبْقَى أُمُّهُ
(هَنَا يَصْمَتُ الْجَمِيعُ، وَيُقْبَلُ عَبْدُ الرَّحِيمِ بِكَ وَيُقْبَلُ
رَأْسُ مَنَاجِلِ).
عَبْدُ الرَّحِيمِ بِكَ:

وَاللَّهُ شَرَفَ لِي تَكُونِي زِي أُمِّي يَا سِتْ مَنَاجِلِ.
(فِيَتَغَيَّرُ وَجْهُ عَصَافِطَ وَيَدُكَ بَعَكَازَهُ عَلَى الْأَرْضِ،
فَتَدُكَ مَنَاجِلُ بَعَكَازَهَا عَلَى الْأَرْضِ وَكَأَنَّهَا تَرُدُّ عَلَيْهِ).

مَنَاجِل:

حقك يا ولد الأصول
يا نهر الكرم والجود
واللي يقدر ويرحم
حق الفقير في الوجود
نعطيه صوتنا ونختم
ونصون في حقه العهود

(ثم تمسك بيدي وتشدّهما بقوة)

مَنَاجِل: عهد يا عبد الرحيم بك لأجمع لك أصوات
الشرق والغرب.

**(الغجر يطلقون الأعيرة النارية في الهواء تبشيراً
بالنجاح .. يلاحظ عبد الرحيم بك مَحَبَّات واقفة
بشموخ وكبرياء بين سِيَّال ومَنَاجِل، يقترب منها،
ويمد يديه في وَجَلٍ لتتبعه مَنَاجِلُ قائلة):**

مَنَاجِل: مَحَبَّات حفيدتي، متنورة وبتقرا كثير.

عبد الرحيم بك: عندي مكتبة في السرايا يسعدني لو
تجد مَحَبَّات بعض الكتب التي يسعدني لو أهديتها لها.
مَحَبَّات: أشكرك يا عبد الرحيم بك.

(وَتُقَضُّ الحَمْلَةُ، ويرحل الجميع، حتى يختلي مَنَاجِل
وعَصَافِطُ بالمكان، يتوسطا المسرح، يقفان أمام
بعضهما في تَحَدٍّ، كُلُّ مُتَكَيٍّ على عكازه، تضرب
مَنَاجِلُ بعكازها، فينتفض عَصَافِطُ خوفاً من مَنَاجِلِ).

مَنَاجِلُ:

عينيك فضحك رغم كيدك

يا فلذة كبدي وعينيا

بيقتلني خوفك في جوفك

وبفتح جراحي بإيديا

عَصَافِطُ (متعالياً):

أنا خايف؟! أخاف منك إنت؟! أنا شيخ البلد، ابن العمدة
الكبير، عمدة الجهة كلها، أخاف من مين؟!!

(مَنَاجِلُ تصفعُه على وجهه، ثم تَهْمُ لصفعه مرةً
أخرى، فيمسك يَدَها بقوة، ويؤلمها، فتصرخ قائلة):

مَنَاجِلُ:

ملعون وملعون دم نسلك

تاريخكم كله ذنوب

روح اسأل جدودك وأهلك

نهبتوا الشمال والجنوب

وسم العقارب في دمك
وانا اللي، هاخليك تتوب

عَصَافِطُ:

وأنا ابنك مش ابن السفاح
وما يطلع عليك صباحي
وانتي في مكانك يا مُجَلَّ
يحش في رقبتني وكفاحي!

مَنَاجِلُ (ساخرة):

كفاحك اللي عملته بدراعك اياك؟!
روح يا ابني الله يسامحك
ويهديك لنور الطريق
لأن المظالم في دربك
وشايفاك في ضيق بعده ضيق

عَصَافِطُ:

بلاها حكي الحريم
راح اسمع فوزي الأكيد
وابن الأكابر واهله

ينولوا المقام الجديدُ

(يخرجنا من المسرح .. تدخل مَحَبَّات ومعها عبد
الرحيم بكُ، وقد بدأت بينهما أمارات الإعجاب، وقد
اعترف كُلُّ منهما بمشاعره للآخر، هو يعشق فيها
القلب الغض النضر، وهي تعشق فيه العدالة).
مَحَبَّات:

آتِ حبيبي الآن من غزواتِ
والعشق في عينيه كل حياتي
الأرض تعشق في النخيل شموخه
تندي الجذور وترتوي من ذاتي
يا طرح حَبَّاتِ الأنين تحدثني
وتطهري من سائر الآفاتِ
العز كان ولا يزال ربيعكِ
أَتَى ارتويننا تلکم النبضاتِ
عبد الرحيم بكُ: الله الله يا وردة حياتي وملیكة قلبي!
ملكة العجر، فليعيش كل العجر في هذه الدنيا .. يعيش
.. يعيش .. يعيش.
مَحَبَّات (ضاحكة وواضعة يدها على فمه): كَفَى هتافًا،
أنا لستُ عضوةً في مجلس الشيوخ.

عبد الرحيم بك: أنتِ عضوةٌ في مجلس قلبي، المزيد
من الشعر .. المزيد هيا .. هيا.
مَحَبَّات:

أنا في الكتاب مكتوب
والحب له غاية
حتى الأنين في القلوب
يتحد له نهاية

عبد الرحيم بك: المزيد ..
مَحَبَّات:

وأنا لو باخاف عليك
لا بد أخاف من الخوف
لاحسن في يوم مش حلو
نجمع كتابنا حروف

عبد الرحيم بك: قلبي إنت!

مَحَبَّات:

حبيبي اللي في يده
مسكتي وهربي

يمسك في يده اللجام
وأنا مش باقول عجبني

عبد الرحيم بك:

(يلتفُّ الناسُ حولهما مرةً أخرى، وعندما يرى
حَرْبُوقُ الإعجاب من عبد الرحيم بكَ لِمَحَبَّاتٍ، ينقلب
على مَنَاجِلٍ، ويحاول أن يفسدَ الحملة الانتخابية،
ويسرقَ صناديق الاقتراع؛ ولكنْ تَلَحَّقه الشرطة
ممسكةً به، وتحرزُ الصناديق).

وتعلن مَنَاجِلُ هزيمتها وهي تبكي بكاءَ الخذلان
والخسارة لخسارتها في معركتها بصفتها أمًّا، لا لفوز
عبد الرحيم بك).

مَنَاجِلُ (باكية بشموخ): انا مَنَاجِلُ شِيخة العجر، وأم
شيخ البلد عَصَافِطُ وزوجة العمدة الكبير، أعلن سقوط
ولدي عَصَافِطُ في الانتخابات وفوز عبد الرحيم بك.

مَنَاجِلُ:

مَنَاجِلُ، اللي تعيش في الخلا
وتدري الخبيث من الزين
مَنَاجِلُ، اللي لو وصفتوا الحلا
ما في جمالها اتنين
مَنَاجِلُ الحرة ساعة البلا

ما تبيع شرف أو دين
مَنَاجِل، هي ست البلد
وناسها وأهلها الطيبين

سامع يا عَصَافِطُ؟!

أنا اللي مِثْبَرِيَّة منك
ومن ظلمك وجبروتك
ملعون يا ابن بطني
ملعون ليوم الدين

**(الست أحلام، بنت عَصَافِط تحتضن مَنَاجِل وتقبل
يدَها، وتنظر لوالدها نظرةً يملؤها العتاب).
الشاعر يَزُبُّكَ العجري (على أنغام الربابة):**

يقول الراوي يا سادة يا كرام:

قصة ربيع البلد
وخريفه شتاه والصيف
والحق لما اتولد
اتولد جناحه ضعيف
والأصل ما بالنسب
والواد انتسب للحيث

وأمة كانت سبب
ينزاح وشره مخيف
واشهد يا حب انكتب
جوه ضلوع الخوف
غجري يحب التعب
والبيه عشق ملهوف
حبيبة تحب الكتب
وأصلي في زماني حروف
شاعر وشعره عجب
جوال قضاها يطوف
جه القمر ينحجب
جيت له في غيومه طيوف
وتدور دنيا السواقي
زي الرحي في الكفوف
هل كل الحكايا أدب
كتب عليها رفوف؟!
والا الحياة في الكتب
والغيب ده كان معروف؟!!

تَمَّ الْمَشْهَدُ

الشَّرْقَةُ الثَّالِثَةُ

الأرواحُ تتجه نحو الشمال



سفينة غارقة في البحر الأحمر، تتصاعد الأرواح على الشاطئ من حين لآخر لتتحدث مع بعضها، صوت الصرخات، نداءات مَنْ يفهم معناها الذي تعجز عن فهمه قواميس اللغات، لغة الأرواح رسائل للمستقبل!

الشخصيات:

- الروح الأولى.
- الروح الثانية.
- الروح الثالثة.
- الطفل.

تفتَحُ الشَّرْقَةُ عن طفل صغير يحمل حقيبة مدرسية
ثقيلة لا يستطيع حملها، يجرها على الشاطئ خلفه
بشق الأنف، ثم يتوقف وينظر لها وهي مطروحة
على الأرض، يتنهد من فرط المشقة.
الطفل:

أنا لا أعرف شيئاً
لا أدري ماذا أفعل
تنحرف شمالاً وجنوباً
من منا نحن الأثقل؟
يقف الطفل ويترك الحقيبة مُلقاةً على الشاطئ،
ويتأمل البحر، يصاب بالقشعريرة من هواء البحر
البارد، ثم تدركه الروح الأولى في هيئةٍ تُشبه أمّه.
الطفل: مَنْ أنت؟
الروح الأولى:

أوعية تحمل عشق
تتحمل حتى الرق
في سبيلك أنت أعافر،
حتى تكبر لي أنت، وتقول لي:
"مَنْ أنت؟!"

سافرت لأطعمك ثريدا

حتى ألبسك جديدا

تفرح وتكون عيدا

أرسلت لكي أبلغك

أنني لن أبقى بعيدا

اشتقت إليك ولكن

رئيسي كان عنيدا

لم يعط الإذن لأمضي

فرحلتُ وكنت سعيدا

وأفقتُ حين أفقتُ

وضمير الناس قعيدا

لا يشعر ما في قلبي

وكأنا كنا عبيدا

سأظل معك أتحسس

خلفك أرتاح طريدا

يُرَبِّتُ الطِفْلُ عَلَى كَتِفِ الرُّوحِ الْأُولَى مُتَوَجِّهًا بِسُؤَالِ

آخِرِ لِلرُّوحِ الثَّانِيَةِ:

الطِفْلُ: كَيْفَ؟!

الروح الثانية (تأتي في هيئة الأب):

حين رأيتك في المهد
وعقدتُ في قلبي عقد
وكتبت بماء العين
أنك تتولى العهد
حتما لمرارة صبري
أحلى من طعم الشهد

لكن القدر سريع
أغرقت وصرت الطيف
لم نحصد إلا الخوف
حيف يأويه حيف
وتقول: "كيف وكيف؟!"
كنت أتهياً فرحاً
ليوم لقاء مشتاق
ألثم صورتك بقلبي
بضلوعي والأحداق
أنظر خلف النافذة

شَطًّا ينعي الأشواقُ
وأفقت في بطن البحر
وتوقفت الأبواقُ
لا أسمع إلا صريراً
من صدأ في الأعماقُ
أحلام حين تأن
تعوي من أجل عناقُ
هلا تمنحني حضناً
كأنني تلك الأوراقُ

(الطفل يحتضن الروح فتختفي في البحر، وهي تبسم له).

الطفل: والآخر؟!

الروح الثالثة:

أنا مالكُ هذا الصرحُ

الروح الأولى:

عرفتك، أنت اللصُّ

الروح الثانية:

حرمني من دفء الحزن
جعلني أبكي وأقص
الطفل غاضباً يمسك صخوراً ويقذفها في وجهه
الروح الثالثة (تستغيث وتصرخ):
لم أكن أقصد، لم أكن أنوي
كيف لي أدري، إني لا أدري
رحلة الموت، ساقها قدري
الطفل (غاضباً):

آه يا ربي!
لا أملك لتلك الأرواح
غير بكاء ونواح
لكن يا ربّ الكون
أبعد هذا السفاح
يختال بدم بارد
يزعج تلك الأرواح
اقصيه في أبعد جُبّ
عنهم، علّي أرتاح
علّي علّي أرتاح

الروح الثالثة (تَنقُضُ عَلَى نَفْسِ الْوَلَدِ لِتَخْنَقَهُ):

قُلْتُ: لَمْ أَقْصِدُ

إِنِّي لَمْ أَقْصِدُ

مَا لَكَ الْيَوْمَ

سَادَجٌ تَعْنِدُ

ثم ينادي بصوتٍ عالٍ:

أنا لستُ إبليسًا يا مؤمنونُ

أأنت ملائكة اليمين الأمين؟!

تساق البهائم نحو النفود

رحلتم لأجل الدولار اللعينُ

فماذا تركتم؟! فماذا وجدتم؟!

تركتم صغارًا هنا لاعبينُ

وجدتم سفيني تنادي: "أمين"

ركبتم، غرقتم في حلم سجينُ

قبرنا جميعًا في ماء وطنٍ

قدر وربّي! إني حزينُ

(ثم يتصنع البكاء).

فتتقدم الروح الأولى والروح الثانية لِيُغْرَقاه في البحر،
يحاول أن يخرج؛ ولكنهما يمسكان برأسه بقوة
ويغرقاها، حتى تغوص في قاع البحر، ويودّعان
الطفل، يحتضنان الطفل ويقولان في صوت واحد:

الروحان: هل ترانا؟!

الطفل: نعم أراكما!

الروحان:

انظر أكثر.

انظرْ أبعدَ مما تنظرْ

لا تنس الماضي، لا تعذرْ

وتجرد من ذاك المنظرْ

أريدك في الكون كبير

الطفل أنْ أن يكبرْ

الطفل أنْ أن يكبرْ

تختفي الأرواح صاعدةً نحو السماء لِتُحدِث بقعة نورٍ
في سماء المسرح، ينظر الطفلُ إلى مصدر النور في
الأعلى، يضع يده على عينيه من وهج النور، ثم

يحمل حقيبتَه على ظهره واثقًا مستقيمَ الظهر، ويسير
بشموخ عائداً إلى جوف الشَّرْنَقَة مرةً أخرى.

تَمَّ المشهد

الشَّرْئَقَةُ الرَّابِعَةُ

إنهم يسكنون المريخ



تسقط الشَّرْئَقَةُ ليخرج منها جادُ الرب، يسقط على
كرسي في قهوة، أصواتُ الماء المغلي، وصوتُ
كركرة الشيشة، ورائحةُ الدخان تملأ المكان، والراديو
يُذيع نشرة الأخبار: "خبرٌ عاجل: تقومُ وكالة ناسا على
عمل اختباراتٍ فعليةٍ تقوم على إمكانية العيش في

المريخ"، وتم عرض
مجموعة صورٍ لأبنية
المستقبل في كوكب
المريخ.



الشخصيات:

- أحمد بيرانديلو.

- اليساري/ جادُ الرب.

- المعلم/ زغلول

(صاحب المقهى).

- الشاعرة/ إلهام.

- الدكتور/ ولاء.

- طبيبُ الغلاية.



- رجلُ الأعمال/ علي الراهب.

- أيمن فتلة (صبي المقهى).

مسرحية (إنهم يسكنون المريخ)

الكاتب المسرحي/ أحمد بيرانديللو: سبحان الله!
(لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ
طَبَقٍ)^(١).



(١) سورة الانشقاق، الآية (١٩).

وماذا بعد يا إنسان!
بعد أن طوفت الأكوان
قمرٌ .. مارسٌ
ومجراتٌ ذاتُ ألوانٍ
وتجراتٌ لِلسُّكُنِ فيه
أولي الحَظوةِ والسلطانِ
ضاقت بكم الأرض وضاقت
منكم نفسي! كيف تهان؟!!

المعلم/ زغلول (صاحب المقهى):

واحد شاي .. واحد شاي
لـ(بيرانديلو)، واعزفْ نايً
هَدِّي بالك، وفي أحوالك
هُهْسْ يا شاعر .. لا تَبْدَأْها
أو نغلقها الصيفِ الجاي

ساقى المقهى/ أيمن فتلة:

الشاي لعم/ بيرانديلو وضَبَّطْهُ
وَمُخَّه حِلُّهُ وَرَبَّطْهُ
على القهوة دي هتلاقي ناسً

تطلع لِمُخَّكْ تَعَبَّطُهُ

الشاعرة/ إلهام (وهي تنفث دخان السجارة):

آه منها الرأسمالية

مجتمعات الماسونية

خطر سيقود البشرية

صنعوا السفن لنوح كثر

واصطنعوا لنوح ذرية

المعلم/ زغلول:

واحد قهوة .. وواحد شاي

وواحد مُخبر حالاً جاي

ارحموا أهلي من هالسيرة

لأحسن كلنا في الباي باي

(جأد الرب وهو يتشاءب محاولاً أن يتمطى على

الكرسي، ليحتسي القهوة حتى يفيق، يبتسم لإلهام هائماً

في شفتيها اللتين تثيراه، وهي تنفث دخان السجائر في

الهواء، فيضغط على شفتيه مردداً بصوت عالٍ):

زمل فؤادي بالعيون الجارية

النور في عينيك تل رابية

ما بال خصلات السواد تجمعتُ
فوق الحواجب والعيون الشافية
والأنف ألثم في روابيه التي
تهديني نحو الشفتين وتشفيه
والوجنتان الزهرُ يُنبِت منهما
أشْمُ ألثمُ فيهما بشفاهيه
والذقن يرجو من شفاهي يرتجي
مني صلاة والقيامة آتية

الدكتور ولاء (يتحنح في خجل بريء): إنك لن تغتسل
في النهر الواحد مرتين كما قال هرقليطس، العالم
يتغير، ويمر بطنياً فوق الكون، يظن أنه يسكن في هذا
الكون، وكما تظن الروح أنها ساكنة في جسدي أو
جسدك، تتمتع بإقامة، ثم تسافر، حتى تكمل دورتها
الأخرى، وتحج طائفة في كون البرزخ، تغتسل الغسل
الأول من أدرانك أنت، وتهيم في هذا الكون الواسع
تتظر إلى مسرحك الآن، الآن يعرض الفصل الأول،
ويتلوه الثاني والثالث، وستار العمر يسدل أحداث
روايتك الفضلى، والكل يصفق لختام العرض وينتخب
الحب، وتمطر سقف الصالة دموع العسل المر،
ويمضي الجمهور ليحكي ويثرثر في الطرقات، أعجبه

العرض، أغضبه السرد، أو أن الفنان الواحد لم يحسن
في العرض الحبكة، والحبكة لم تقنع بعد العرض
الجمهور؛ لأن الراوي كان فقيراً.

ثم يحتسي الدكتورُ القهوةَ باردةً وهو يتأوه ويقول:

الظنون بفطرتي

كل العلوم العالية

وبحثت حتى ساقني

ربُّ العلوم الكافية

فكأنني كدت أشك

وأتى اليقين جوابيه

(ثم يكمل ارتشاف القهوة، وهو يشير بيديه وكأنه
يحدث نفسه)...

يخترق القهوةَ غريبٌ يهرول، وينظر كثيراً خلفه،
يعتريه الخوف الذي يجعله يطلب كوباً من ماء،
يهرول ناحيته المعلم/ زغلول، يبتسم ابتسامة عريضة،
يظن من ملابسه الفارحة أنه سيجلس على القهوة
ويعطيه بقشيشاً جيداً؛ لكنه يهرول ومعه مساعده يحمل
حقيبة رجال الأعمال ويمضي.

ثم يعود المعلم/ زغلول إلى مقعده على الكاشير
وينادي:

واحد قهوة وانقع شاي
مثل اللحن في قلب الناي
يطرب قلب الناس دُهوراً
وهو الباكي منذ صباي
ثم يتساءل زغلول قائلاً: مين الراجل ده يا واد يا
فتلة؟!

فتلة:

رُجُل البر والإحسان
قد مر بالقهوة الآن
علي الراهب
رجل المال والأعمال
المعلم/ زغلول (ساخراً): ربنا يبارك له، ماذا تفعل يا
أستاذ بيراندللو؟!
بيراندللو يرقص متمائلاً على أنغام الناي، والكل ينظر
تجاهه متأهباً لمشهد مفاجئ منه ..

بيراندلو (ينظر للجمهور، ويقف مخاطباً لهم):

رَفَّتِ الأقدار لحالي
أنجزت كل الآمال
اكتسيت الصبر عقداً
فكستنى الدر غالي
يا عيوني كم سهرتِ
كم بكيتم ضعف حالي
وجفوني كم ثقلتم
من دموع كالجبال
كم تمنيتم ربيعاً
زهرة سهل المنال
أو خريقاً لولبياً
يرقص: لا لي ولا لي
أنتمُ خيراً تظنوا
والظنون الخير ما لي
والمعادن حين ضنَّتُ
مالها! فهي المعالي
والجماهير تعرَّتْ

تستحم من السعال

ما لكم حين خلعتم!

راقكم أن لا نبالي

الجمهور لا يصفق، لا يصفق سوى المعلم زغلول.

المعلم زغلول: شاعر بصحيح، ما تسمعنا حاجة يا
أستاذ جاد.

جاد الرب: اسمع يا سيدي ..

إبليس رامي الجمرات

أتيت وروحي تشتاق

تبغي الحج والعمرة

وجدت هنالك إبليساً

يطلب مني الجمرة

ليلقيها هو بيديه

فمن ينهي ويأتمره

فقلت: "أيها الإبلisُ

يا ابن أبي مُرّة

كفى عبثاً، فمن يقضي

بك، مقضي على أمره

هنا يمحي هو بيديه

مَنْ يُبْقِي لَهُ أَثَرَهُ"
أجاب: "أولئك اللائي
كما الحرباء والخمرة
تراهم رُكَّعًا دَوْمًا
في عشق السُّحْتِ مختمره"
يقولون: غُرَّنَا إبليسُ .. أقول لهم:
أنا إبليس يا صديقُ
لستُ عروسك البُكْرا
المعلم زغلول:

جاد الرب اليساري
يريد الحج والعمرة
هداك الله يا محلاك
ستترك جرة الخمرة
وتسمعنا حديث الروح
تقرأ سورة البقرة
وشاعرة كغصن البان
تسرق من هنا نظرة

- تقدر؟! -

أشك يا أستاذ/ جاد، إنك جاد في هذا الأمر.
جاد الرب: أتعرفين يا إلهام، ويا بيرانديلو، ويا دكتور
ولاء؟!

الآن يا سادة نحن فشلنا، عندما يتحدث المعلم زغلول
وهو من نجلس عنده منذ سنوات، نتحدث عن الفلسفة،
والبنويّة، والتفكيكية، والجوهر، والعرض، والفضيلة،
والمعرفة، والحرية، وهو لا يفهم من هذا كله سوى
أننا نسكر ونعشق النساء، نحن فشلنا يا سادة.

جاد الرب:

سنظل كالديك نؤذن
ونؤذن لصلاة الفجر
نتهياً والعرف الأحمر
يتزين ليذيع الأمر
الخلق - يا رفيقي - أنك
تتحرر من عقد القهر
المعرفة بدء الخلق
والتجربة ليست في النهر
الإنسان لا يغتسل
في النهر الواحد مرتين

نيتشه والإنسان الأعظم
وأرسطو قد كفر بإله الشعْرُ
أطلق نفسك من مخبئها
أخرج من كهفك ستمْرُ
حرر نفسك، حرر عقلك
وتحرر وستصبح حرّ
الأديان والفلسفة والجغرافيا
والشعر اللغة العقرُ
وأخينا زغلول يفكر
في ثمن حبات البُرّ
أثمان السكر غالية
أسقيهم الشاي المرُّ؟!
لم نفلح أبدًا يا سادة
أن نفتي لزغلول الفتوى
هل يمكن؟! أكون حلالاً؟
يسقينا الشاي المرُّ؟

يخترق المقهى مرةً أخرى علي، ذاك الراهب،
ومساعده الذي يحمل له حقيبتَه، ولكن الحقيبة تبدو

ثقيلة جدًا، يتوقفوا ليطلبوا الماء، ويتكرر نفسُ الابتهاج
في عيني المعلم زغلول؛ ولكنهما لا يطلبان سوى الماء
الذي يقدمه المعلم زغلول مجانًا، فيغتم مرةً أخرى
ويمضي الضيفان العابران ..

المعلم زغلول (محدثًا إلهام): ما رأي جناب الأستاذة؟
هل أنتِ ضد الزواج أم مع المثلية؟
إلهام: معلم زغلول! هل حدّثك أحد عن الفكر النسوي؟
المعلم زغلول:

آه! المرأة والوجه الآخرُ
تشكو من ظلم الرجلُ
وتعاني من قهر الرجلُ
وترد الضربة للرجلُ
وتكون عدوًّا للرجلُ
تتحدث طولاً أو عرضاً
عن رجلٍ .. مع رجلٍ .. رجلُ
وتدير الدفة تنتحب
وتسب في الدنيا الرجلُ
رجلٌ .. رجلٌ .. رجلٌ .. رجلُ
ثم تقول: "الفكر النسوي"!

والفكر مشغولٌ دومًا
بكيان تدعوه (رجلٌ)
إلهام: إذًا، فهذا ما وصَّلَكَ، والذنب أبدًا ما ذنبك!
النَّسوية يا زغلول:

هي أمك تحتضنك طفلاً
تسقيك من وهن الرهبة
وتشيب، وفي القلب ضميرٌ
يحرمها من تلك الرغبة
لتربي أبناءً تُركُّوا
من أب ملكته الشهوة
تدعوك رجلاً
ترضعك بحليب القسوة
لتظل كالنسر تحلق
تنشد وتغني مرتجلاً
ولتسأل يوماً عن أمك
فتقول: "رَبَّتِي رجلاً"

تلك هي النَّسوية يا زغلول.
بيرانديلو: زغلول! مَنْ علَمك كلمة مِثْلِيَّة يا زغلول؟!

المعلم زغلول (يشير لبيرانديللو ليقترّب منه فيهمس
له): صاحبك جاد، قد حبل في حبها وولد، وهي لا
تتظر له حتى وهي تنفث سجائر النكران
بيرانديللو (ساخرًا): سجائر النكران؟! ألّهذه الدرجة؟!
زغلول (يغمز جادًا): نعم، نعم.

بيرانديللو: إذًا يا سادة من سيسكن منكم المريخ؟!
زغلول: لن يعطوني تصريح المقهى.
إلهام: المشكلة ليست أرضية.

لا تتعلق بالسكنى
والشقة من حق الشفقة
المشكلة في عقد إيجار
للروح يشبعها غرقا
لا تملك للروح خلاصاً
تتجاوز في الحب النزقا
والكون يتسع مداً
يتمدد بالحب، وصدقا
من قال في الكهف شعراً
ينقش في الظلمة من عشقا

ولذلك اكتشف العاشق
أن يلثم، يحتضن الورقا
وأراد أن يصل خطابًا
أن يفصح عن حب شبقا
فاخترع في الكون عجائب
فاخترع وأثار القلقا
والآن يحاول أن ينجو
ويعود للبدء .. للكهف الأول
ينقشه في مداد الكون
ليعاد إلى الروح ألقا
طبق تركب أو يركبك
نفذ من قطر سماء واسترقا

فتلة: جواب لحضرتك يا أستاذة.
تقرأ إلهام الخطاب، وتبتسم ابتسامة وتتنهد.
جاء الرب: ماذا في ذاك الخطاب؟
إلهام: ورقة الخلاص.
جاء الرب: أيرسلها هنا على المقهى!؟

إلهام: نعم، هنا .. ما له المكان؟ المقهى التناص مع
القصة، الدخان، القهوة تغلي.

يتناقص فنجان القهوة

يمتلئ فنجان آخر

تتنفس حجراً للشيشة

ولتطلب لمزاجك آخر

وصبي يأتيك بطلب

وزبون في القهوة آخر

وصبي يأتيك يلبي

والطلب تتلوه بآخر

وزبون العمر على حق

لأنه إنسان آخر

ثم تضع رأسها على المنضدة لتبكي، فيدركها جاد
الرب ليساندها، ثم يتوسط المسرح.

جاد الرب: الأغنياء من يسكنون المريخ يا سادة.

ولتسقط الآن عهود

نادينا فيها الحرية

والعدل والقيمة ضاعت

بآثام جميع البشرية

من يملك بيديه يقود
من يملك غاز ووقود
قد يملك فيك الحرية

الدكتور ولاء:

الوحي يغربُ والقيامة تغلسُ
والجهلُ فينا رابضٌ يتنفسُ
والأرضُ تغلي تحت أقداح الرضا
وهم السماء كطائر يتجسسُ
لا لن نفيقَ ونستفيق لهم إذا
ما الموتُ حلَّ، ونحن منهم نُوحسُ
فليسكنُوا مَريخَهم ولتؤمنوا
لسنا هنا من أجلهم نتعسسُ
يكفيْنَا أنا ما صنعْنَا مثلهم
ولا زرعْنَا الأيدي فينا تغرسُ

بيرانديلو (مخاطبًا الجمهور): والآن أيها الناس، من
سيسكن المريخ؟! من يستحق أن يسكن المريخ؟!
(يتغنى مترقصًا، ومشيرًا إلى علي الراهب رجل
الأعمال وهو يتسلل من أمام المقهى):
من يحمل على الظهر جوال؟!

ببغاء يحفظ أقوال
وينام بالليل هنيئًا
تسعده تلك الأفعال
الحضن والقبلة مجد
يحرزه في العقل خيال
مرأه الزمن تظهره
عربيذًا يحمل أثقال
وذنوبًا تظهره طفلاً
يتلعثم في حرف المال
أما نحن تحملنا كتب
أشعار المغرب والمشرق
ويمر العمر لنحفظها
وندور في الظلمة نشرق
مسرحنا عروس نلبسها
لكنها في الحين تطلق
أو تصبح أرملة تكلى
تتباكى وعليها نشفق
سفسطة وسقراط يسعى

في روعي الآن يحدّق
ويقول سيسكن في الكون
من يفنى بالسّم الأزرق

يكتشف المعلم زغلول مع دخول رجل الأعمال علي
الراهب ومساعدته، بعد أن سقط من يديه الجوال الذي
وضعه بجانب المنضدة، أن الجوال به آثار وقطع
فرعونية من الذهب، فيحاولا الهروب وهما يجمعان
الأشياء ..

المعلم زغلول: هو دخول الحمام زي خروجه؟ على
البوكس يا حلو.

تَمَّ المشهد ..

الشَّرِيقَةُ الْخَامِسَةُ

الْأَعْوَاتُ وَالْدِرَاوِشُ



تدخل فتاة الهوى حياءً هادئاً من أحياء منطقة جبل المقطم، يتوسط جانبيين: جانب يسكن فيه آعَوَات القصر السلطاني في العصر التركي، وجانب يسكن فيه دراويش الحضرة السلطانية، فتاة الهوى/ العايقة، ومعها غانية الكَرْخَانَةِ.

الشَّخْصِيَّاتُ:

- ثُولَجَا آغَا.
- الشيخ/ إدريس (كبير الدراويش).
- ثَقْوَى (تلميذة الشيخ)
- فتاة الهوى/ العايقة.
- غانية الكَرْخَانَةِ.
- إبراهيم الغربي (رفيق العايقة).

تدخل العايقة وغانية الكرّخانة على عرّبة كارّو يقودها
القوّاد/ إبراهيم الغربي، وهما يغنيان ويتمايلان على
العرّبة التي تسير على مهلٍ.
الأغنية:

احنا صبايا البلد
والأنس كان غيه
والأنس كان غيه
والفرح لما اتولد
قال: "حلوة وبهية"
قال: "حلوة وبهية"
يحمينا عين الحسد
من صاحب النّية
من صاحب النّية
إحنا الهوى من الهوا
خَفَّنا حَيَّة
خَفَّنا حَيَّة
أعمل لقلبك سحر
أنا بنت حَيَّة

أنا بنت جَنَّة

وأُسر فؤادك أُسرُ

بنتِ الهَوَى هِيَّه

بنتِ الهَوَى هِيَّه

وتقف العَرَبَةُ في وسط الطريق، العَرَبَةُ تتعطل في
حارة الآغَوَات والدروايش .. إبراهيم الغربي
(بصوت أجش وهو ينظر قاصداً العايقة هانم): (بييس
بييس) أيها الحمار.

أيها الحمار سيرُ

للمال وللمسيرُ

رزقنا في اليوم سهرة

حفل ختان الأميرُ

نأكل ديكا ونشربُ

شركسية بالشعيرُ

سير يا غزال الحي سيرُ

عينك سحر وخصركُ

سيذيب الزمهريرُ

والفم كالناي تطربُ

قيدتني كالأسيرُ
سيرُ أيها الحمار سيرُ

العائقة هانم:

إبراهيم يا غربي
ماذا حل بالحمارُ
عقله فار وطارُ
ما له يهوى عذاباً
يهوى تذنيب الجدارُ
يضرب حتى الصباح
ثم يصبح كالحمارُ
غانية الكرخانة (تُقبَّلُ يدي العائقة، وتترجل من
العربة، وتلف وتدور تتفقد المكان):
ما لهذا الحي صامتُ
صوته كالقبر ساكتُ
ثرى مسكونٌ بحنٍّ
أم عفاريتِ المصامتُ
إبراهيم الغربي: هذا حي الآغوات والدروايش.

الغانية تسرع ضاحكة بميوعة، وتهمس في أذن العايقة، ويضحكان.

العايقة (تترجل من عربة الكارو، تتفقد أرجاء المكان ثم تضرب إبراهيم الغربي على كتفيه): ألم تجد غير هذا المكان الكئيب لتوقع بنا فيه يا منحوس؟!

ثم تبدأ الحركة تدب في المكان مع خروج ثولجا آغا من داره، والدروايش من ديارهم، ليجدوا في وسط الحي أمامهم هؤلاء الدخلاء.

ثولجا آغا (بخشونة وازدارء):

مَن أنتم؟! ولأين أين؟!

مِنْ أين؟! مِنْ أين جئتم؟!

انطقْ انطقْ، حالا، قُلْ يا هذا!

مَنْ هُنا؟ مَن أنتم؟!

العايقة (غاضبة باستهزاء): مَن أنتم؟! مَن أنتم؟! أنتم!

مَن أنتم؟!

بَشَرٌ مثلكمُ حظرتكمُ

قمرٌ قد هلَّ بعُتْمَتكمُ

شمسٌ قد أشرق ظلمتكمُ

حظٌ .. سعدٌ

رقصُ طرب

يُدفع لي

مالٌ أو ذهبٌ

مَنْ أنتم؟! أنتم! مَنْ أنتم?!

تُولَجَا آغا (غاضبًا): أنا لا أحدث الحريم، يا هذا.

العَاقِبَةُ (تشد إبراهيم الغربي من أمامه، وتقف متحديّة
له): حدثني أنا ..

تُولَجَا آغا:

تهذي وإلا

هذبتك بالسوطِ

جلدتك تباعًا

وذقتِ طعم الموتِ

العَاقِبَةُ:

سَوط؟!

وأنا أزغرد في الساعة

أريك هذا الصوت

يتجمع الآغَوَات والدروايش في الحي، يستنكرون
هامسين ما يحدث من العَاقِبَةُ.

الدرويش: ابنتي العزيزة.

العائقة: ابنتك إيه؟! العزيزة أم اللذيذة؟!

الدرويش: أستغفر الله.

ثُولَجَا آغا: نَنَحَّ يا درویش، السوط يا ولد!

لحظة صمت من الجميع، الخادم يسرع بالسوط،
إبراهيم الغربي يركع أمام ثُولَجَا آغا مترجياً له بالعمفو.

إبراهيم الغربي: أرجوك، عفواً وسماحاً، الليل أقبل
وسنرحل قبل الإصباح.

الدرويش يمسك السوط من يدي ثُولَجَا آغا ويجلسه
ليهدأ.

الدرويش (معلنًا في الحي): الرجل والمرأتان ضيوف
حتى الصباح.

العائقة تجمع حاجياتها من فوق العربة وهي تنتظر
نظرة غائرة بتحدٍ في وجه الآغا.

في منزل الشيخ إدريس كبير الدراویش، منزل به
قاعتان كبيرتان بجدران عالية، تعلوهما قبة واسعة مثل
قبة المسجد، وهما: قاعة المُنْدَرَة، وقاعة الخُلوة ..
يعيش الشيخ إدريس مع تلميذه تَقْوَى، يجلس إبراهيم
الغربي، والعائقة، وفتاة الكرْخانة، في قاعة المُنْدَرَة.

الشيخ تَقْوَى (باستهانة):

هنا تجلسون ولا تتلقون

فشيخي يبغي بعض السكون

سأجلب ماءً وزادًا إليكم
أراه مُحِقًّا، لقوم أراهمُ لا يفقهون

العَاقِبَةُ: من هذا؟!

إبراهيم الغربي: سيِّدُهُ يُسأل عن هذا.

الشيخ/ تقوي (غاضبًا): بل شيخي يا عَقْلَ الدابة.

العَاقِبَةُ: مَنْ تقصد يا دُبَّ الغابة؟!

الشيخ تَقْوَى: كفي يا امرأة نَدَّابَةً.

العَاقِبَةُ: اضربك لولا سيدك، وأريك كيف النَّدَّابَةُ!

فتاة الكَرْخَانَةِ: سيدتي، الشيخ يَسْمَعُنَا.

يخرج الشيخ إدريس من الخُلُوة منزِعًا:

ماذا يحدث في الدار؟!

زلزالٌ أم وَقَعَ شِجار؟!

تُؤَلِّجَا آغا (يدق الباب بعنف):

سلامًا يا أهل الدارُ

أسمع سَفْسَطَةً وحُوارَ

ماذا يحدث في خُلُوتِكُمْ

والظلمة لم تَلِدْ نهارَ

نلقِيهم بالخارج مَطَرًا

وشتاءً يبعث إعصارُ
والسوط يشتا ق لِدَمِ
يشربُ من جلدِ حمارُ

العايقة:

مولاي، الخوف منك
يا ثولجاً يعمي الإبصار
يجعلني للتو أراك
بردعة على ظهر حمار
وحمارك قد ينفر منك
فثقل دُمك وسُعارُ

ثولجاً آغا يضرب السوط في الأرض، ثم يهم به على
ذراع العايقة، فيتلقفه إبراهيم الغربي على ظهره،
فيسقط صارخاً، فترتعد العايقة.

الشيخ إدريس:

كفانا يا ثولجاً، كفى
سنغلق الأبواب تَوّاً
والصبح يدرك من عفا

تنام العايقة على كرسيّ بجوار إبراهيم الغربي، وفتاة
الكرخانة بعض الوقت، ثم تستيقظ على أذان الفجر.

العايقة تنادي: يا حضرة الدرويش.

الشيخ/ إدريس: خيرًا!

العايقة:

رأيت كأني أحبو لهذا المنزل الرغدا

وكلما اقترب بعدتُ وراح مبتعدا

ظمأتُ ونالني تعبُ رأيت الباب مرتعدا

يقول: "لا، لا تدخلني مثلي، فإني طاهرٌ سُعدا"

فجئتَ أنت تُدخلني، فطارت روعي أبدا

وجدتُ النور في وجهي يسبح يطلب المددا

أفقت النور من نومي أردد واحدًا أحدا

الشيخ/ إدريس:

استبشري فهي البشارة

بالنور تحظين الطهارة

فالروح تسعى نحو ربي

وبقلبك تأتي الإشارة

ماذا تريدان؟! رسولاً

حتى يجيئك بالإمارة؟!
العمر أَفَنَنْتَهُ المعاصي
فلتدركي قبل الخسارة

الْعَاقِبَةُ:

يا رب، اقبل توبتي
من رجس آثام الذنوب
وأنا المُلَامُ بفعلتي
الآن أبغي أن أتوب
يكفيني أياماً ظننتُ
أن المحبة في القلوب
أسلمتُ رُوحِي للمعاصي
والمهانة في الدروب
يا ربُّ، اقبل توبتي
الآن أبغي أن أتوب

يدخل ثُولَجًا آغَا فَرَحًا لِمَا سَمِعَ.

إبراهيم الغربي (يشد السوط من يده، ويهم بضرب
الْعَاقِبَةَ):

- أَنْتِ مَلِكِي .. أَنْتِ مَلِكِي .. أَنْتِ مَلِكِي.

لو شَقَقْتُمْ عن فؤادي

بين أوردتي وجلدي
لوجدتم فُبلاتي
تكتب في الحلم عهدي
تكتم في الليل صدِّي
تصطلي من نار قصدي
أنت ملكي .. أنت ملكي ..
ثولجاً آغاً: أتضربُ زوجتي؟!
العايقة: لا، لستُ ملكه، ولستُ زوجتك .. سأطير كما
رأيتُ في حلمي.

النور حينما يأتي
يعيد القلب للمهد
يرددنا كما حرف
يطيل إيقاعها مدّ
ويدغم فيك حرف النون
حرف الكاف والسُّهْد
سأسهر في ظلام الليل
أكتب آية السُّعد
وهبتُ العمرَ للملكوت

أنوي مقصدَ العهدُ

يخرج إبراهيمُ الغربي مودعًا الجميعَ وهو يردد: لا،
لن أعود بدونها، لا، لن أعود ..

يدخل إبراهيمُ الغربي، وفتاه الكَرْخَانَةُ الشَّرْنَقَةُ مرةً
أخرى.

تَمَّ المشهد

الشَّرْئِقَةُ السَّادِسَةُ

عَرِيسُ بَنَاتِ إِبْلِيسَ



الأفول العظيم ..

يرتفع الستار عن سقوط الشَّرْئِقَةِ، وبها شابٌ مكتملُ
الصحة موفورُ العضلات، فائزُ الدماء، جميلُ الخِقة،
يقف مذهولاً أمام مبنى مرتفع، لا يرى منه نافذةً ولا
باب، يبلغ طابقين، على السطح تقف أربع فتيات
حِسان، يُعَنِّينَ أغنياتٍ قديمةً، موشحاتٍ ممزوجةً
بالتأوهات التي تسلب العقل من الجمال والعذوبة،
وفجأة يظهر الظِّل الطويلُ المظلم، فتصرُّخ الفتيات
ويجرين للداخل مسرعاتٍ.

فيتعجب الشابُ مَسْلُوبُ العقل: ماذا يحدث؟!

مَنْ يكون هذا الظِّلُّ؟! ويتكرر الأمرُ كُلَّ ليلةٍ.

يحاول الشاب أن يسأل الحيَّ الممتلئَ بالمارة عمن
يسكن هذا البيت ..

الشاب (لاهاً): عَمَاهُ! مَنْ يسكن هذا البيت؟

أحد المارة: مَنْ أنت؟

الشاب: نجمٌ انفجر، فجئتُ.

أحد المارة: أتراكَ النجمُ الساطعُ في سماءٍ ثم خفت؟!
اسألني إذاً إذ شئتَ.

الشاب: أتساءلُ عمَّن يسكنُ هذا البيت!
أحد المارة:

لا يوجد ثمة بيتُ
نحن في هذا الحي
لا نعرف ثمة موتُ
لا نسكن أية بيتُ

الشاب:

إذاً من أين يأتي الصوت؟!

أحد المارة:

صوتُ غناءٍ أم صمت؟!

الشاب:

أ يكونُ لصمتٍ صوت؟!

أحد المارة:

القهرُ صوتُ الصمتِ
والدُّلُّ لسانُ الصمتِ

والصبرُ رداءُ الصمتِ
والرعدُ عقوبةُ صمتِ
والمطرُ دعاءُ الصمتِ
والعلمُ نجاهُ الصمتِ
لا يصمتُ هذا العالمُ
حتى الموتى لا تصمتِ
لا يصمتُ إلا الموتُ

يذهب الناسُ، ويُقبلُ الليلُ، وتسطعُ أنوارُ البيتِ، يتهياً
الشابُ ليرى الفتياتِ الأربع، ويسمعُ تأوهاتٍ وتراتيل
.. تنادي إحداهن عليه وتشير إليه ليتسلق الجدران،
يلف حول البيت ليجد مَنْقَداً يستطيع أن يبدأ منه لتسلق
الجدار، الجدار أملس من الخارج، يشير إليها هي أن
تنزل، ثم يظهر الظل الطويل المظلم، فتصرخ الفتيات،
ويجرين إلى الداخل مسرعات، فيتعجب الشاب مرةً
أخرى، ويزداد حيرةً.

الشاب يجلس على الرصيف المقابل للبيت، فيأتيه
شحاذٌ يحمل جَوَّالاً مُهْتَرِئاً من قماش الكستور، تتساقط
منه أوراقٌ تحمل تواريخَ وأرقاماً.

الشَّحَّاذ: ما تاريخ اليوم؟!

أُثْرَى يَحْمِلُ أَفْرَاحًا
يَأْسِرُ فِي الْعَيْنِ النُّومُ؟!
أُثْرَى يَحْمِلُ أَتْرَاحًا
جَدَّدَ مَأْسَاةَ الْقَوْمِ؟!
تَارِيخٌ يَبْعَثُ سَالِفَةً
وَيَعِيدُ ذِكْرَ الْيَوْمِ
وَكُنَّا حِينَ كَبَرْنَا
نُسَيِّنَا، دُكَّرْنَا اللَّوْمُ
الْهَرَمُ يَأْكُلُ ذَاكَرَتِي
أَشَدُّ مِنْ زَمَنِكَ يَوْمُ؟

الشَّاب:

الْيَوْمُ بِيَدِ خَالِقِنَا
الزَّمَنُ .. نَدَاءُ الْيَوْمِ
وَيَنَادِي فِيهِ لَنَنْجُو
يَمَكِّنُكَ سُؤَالُ الْقَوْمِ

الشَّحَاد:

أَعْتَقِدُ أَنِّي أَعْرِفُكَ
أَنْتَ سَيِّرُيُوسَ النُّجْمِ

سِيرْيُوس: لا أدري، ربما ..

ربما تراني نجمًا
وأكون كظلك وهم
يعرفني العالم نجمًا
قاطرة تحمل هم
الشَّحَاد: امممم! ينظر ناحية البيت!
سِيرْيُوس:

أُتْراه بربك، قل لي
أحقيقة ليست وهم؟!!

الشَّحَاد:

سُيْفَتِح بابُ البيتِ
خذ مني هذا الختمُ
وستنقُض فيه جدارًا
وسيشبع قلبك هَدمَ
وستقتل ظل ظلامِ
إبليس حيث خَدمُ
خذ مني وهج صلاةٍ
وتقدم مني قَدمَ

يقترب سيرْيُوس من الشَّحَاذ ليأخذ وهج النور، فيدخل
البيت ..

البيت من الداخل هو مجرد مستطيل ضيق، لا يَسَعُ إلا
فردًا واحدًا، تحيط به المرايا .. المرايا الأربعة،
وإضاءة كثيفة .. سيرْيُوس لا يرى إلا نفسه

سيرْيُوس مختنقًا داخل المستطيل، وهو في الوقت ذاته
يتسمع تأوهات وتراتيل تنادي باسمه.

الأصوات: سيرْيُوس .. سيرْيُوس ..

بناتُ الظِّل الطويل

نحن في كفِّكَ نِيْل

انظر الكَفَّ ترانا

مثل حوض سلسبيل

ينظر سيرْيُوس ليديه، فيرى ثلاث فتياتٍ جميلاتٍ
مقيّدات بحبال، وكلُّما دَقَّق النَّظْر انفكت الحبالُ واتسع
المستطيل، فينظر أكثر وأكثر، حتى اتسع المستطيل،
وأصبح حجرةً صغيرة ..

سيرْيُوس:

أين أنثُنَّ يا

جميلات العصور؟!!

كنتُ نجمًا سرمدياً
كم رأيتُ من الحبور!
كم بَعَثْتُ من الأمانى
وأهديت من النذور!
كم ربيعًا فات، ولى!
كم رأيت الحور نور!
ما بَلَّغَنَ من الجمال
مثلكن بدر البدور

الصوت: سِيرْيُوس .. سِيرْيُوس ..

اثقب الجدران مرّة
ستلاقينا في جرّة
افتح المكتوب فيها
واعطِ للمكتوب قُدْرَة
أصبح في الآن حُرّة

يفعل سِيرْيُوس كما سمع، يثقب الجدار، ويخرج
الجَرّة، ويقرأ الورقة، فيجدها خداعًا من إبليس،
يستحنه على الكفر ..

سِيرْيُوس صارخًا:

يظل خداعك الأبدي يحدث فتنة كبرى
وبين القلب والمرئي تلعب لعبة صغرى
بربك أنت يا إبليس .. يا ابن أبي مرّة
منزهة قلوب النور وسوّطي هالك مُنْتَظراً
يمسك سيّرْيُوس بالسوط المضىء، فتفتتح الجدران،
ويخرج سيّرْيُوس للحي مرّةً أخرى ..
سيّرْيُوس غاضباً: أهكذا أيها الشيطان؟! ألن تنتهي
ألا عيبك؟! اخرج علي يا ملعون.
الشيطان في صورة إحدى الفتيات (بَتْعُج): أنا ..
سيّرْيُوس يُقْبِلُ عليها، يضع خَدَّه على خَدِّها: أنتِ
ماذا؟!!

الفتاة:

خُذْ في هذا الخَدِّ قُبْلَةً
لا تقل صَبْرَكَ .. صَبْرَكَ
إني منذ الآن زوجك
قلبي مؤتمراً بأمرك

سيّرْيُوس:

اهدأي يا بنت قلبي

حتى آخذك بدربي
فهوانا الآن عشق
عُدْوَةٌ تُضْحِينَ زَوْجِي

الفتاة (بعصبيةٍ وتدُلُّ):

الآن .. الآن .. الآن
أنى لشعر الشوق يهان
أذنُ مني اليوم حَبِّي
من قطوف كالجُمان

سِيرْيُوس:

ذاك إصرارٌ عجيبُ
ما بك عقل يصيبُ
لم أسالك النفسَ سُؤلاً
فتكونين المجيبُ

ثم يخلع الشيطان القناع، ويظهر نفسه ضاحكاً منه.
الشيطان:

كم أتيتك في حياتك
أتسمع للسماء
لم أذق إلا سياطك

وارتعبتُ من الضياءِ
أنا وحدي نجم وأنتَ
عاشق حتى البلاءِ

أبكي وأركع! يا هه
يا زعيم الأقوياءِ
اركع! الشيطانُ نارٌ
واحدٌ يهوى البقاءِ

سِيرْيُوس:

ما خدعتَ سوى ظنونك
يا زعيم الأغبياءِ
الملاك يظلُّ دومًا
لن يذوق مُرَّ البغاءِ
حتى لو في العشق ذابَ
سيزوق الاصطفاءِ
سوطي الآن عليك
وعليك الاختباءِ
عش في دنيايا طريدًا

جهدك دوماً هباءً
يختفي الشيطان، ويختفي البيت.
يأتي الشَّحَاذ (ويُخْرَجُ من جَوَالِه ورقةً بها تاريخُ
اليوم):

خُذْ مني هذا اليوم
وتذكر أنك دوماً
لا تملك حقَّ النومِ
اسطع في فَلَكِكَ نجماً
يتلألأ حتى اليومِ
لا تنسَ حينَ خُدِعتَ
وتعلم فضلَ اليومِ
الأمس حينَ يحاصر
نفقد آمالَ اليومِ
لا يوجد ثمةَ أمسٍ
هو ظِلُّكَ ذاكَ اليومِ
مثلكَ أنتَ تتلألأ
لأنك ذكرى يومٍ

اليوم ..

مَنْ يعطي شَحَّادًا يَوْمًا؟!!

أعطوني هذا اليوم!

يسير الشَّحَّاد وهو يردد:

مَنْ يعطي شَحَّادًا يَوْمًا؟!!

أعطوني هذا اليوم!

سِيرْيُوس (يتكى على سَوَطه في منتصف المسرح):

أنا سِيرْيُوس، النجمُ الأعظمُ

عَرَبِيٌّ، قوميُّ، واعلمُ

أني لا أختالُ بنفسي

أني لا أختالُ بنفسي

فالنجم نورٌ قد أظلمُ

ويظلُّ النورُ في مدارِ

يتسلم نورًا ويُسلِّمُ

أجيالٌ من نورِ الحجبِ

تتسمع أنت فتتألمُ

من سوطي، ولصوتي فاخشعُ

إياك والمُلكُ الأعظمُ

إِيَّاكَ وَالْمُلْكُ الْأَعْظَمُ

يُسمع دويٌّ كبيرٌ في السماء، وتتساقط النجوم،
ويصطفون بجوار سِيرْيُوس، يبتسم لهم سِيرْيُوس،
ويحتضنهم، ويختفي إبليس.

تَمَّ المَشْهَد

وفي النهاية أقول

الشَّرَنَقَةُ هي غِشاءُ العُميان من المبصرين، مَنْ مِنَّا لم يُدْخِلْ نَفْسَهُ فِي شَرَنَقَةِ الجشع والطمع للمال، أو فِي شَرَنَقَةِ السلطة المطلقة، أو شَرَنَقَةِ الجنس، شَرَنَقَةَ انعدام الوعي بالذات، أو شَرَنَقَةَ الجهل بالدين أو العرف أو المستقبل؟!

وحتى تستطيع أن تخرج من الشَّرَنَقَةِ لا بد أن تعترف وأنت داخلها أنك مَنْ أَحَكَمْتَ عَلَى نَفْسِكَ ذَاكَ النسيج المعقد من الأفكار التي تكونت عبر سنوات، وأنت أنت من نسجت تلك الشَّرَنَقَةَ بإرادةٍ منك حُرَّة .. مَزَقَّهَا وتحرر.

رَشَا الحسِينِي